التنظيم الأسري وتحديات العولمة

د . خليل محمد حسين الخالدي (*)

المقدمة

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن ظاهرة العولمة والتحديات التي تشكلها بالنسبة للدول النامية، من حيث البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فما هي هذه العولمة؟ وما هي التحديات والآثار التي ستتركها على البنية الاجتماعية للدول النامية، ومجتمعنا العربي خصوصاً.

وكيف السبيل إلى فهمها ومواجهتها؟ وهل أن العولمة شرٌّ محض أم خير خالص؟ وما التحديات والآثار السلبية ستبرز عبر آليات العولمة وقدراتها؟، لذا سيركز البحث كثيراً على الآثار السلبية لهذه الظاهرة بشكل عام، وعلى التنظيم الأسري بشكل خاص؛ لتبيان طبيعة الآثار والتغيرات المترتبة عليها بوصفها الظاهرة الأكثر تهديداً للبنية الأسرية من حيث قيمها وأخلاقها وأنماطها السلوكية والمعرفية.

فلا ريب أن العالم قد أصبح "قرية صغيرة" كما يروج له أصحاب العولمة وقنواتها، وذلك بفعل الاتصال الثقافي والإعلامي الهائل الذي خلقته الثورة المعلوماتية الحالية، وهذا ما سهل إمكانية النفوذ والوصول إلى أبعد نقطة في

(*) قسم الاجتماع ـ كلية الآداب / جامعة الموصل.

المجتمع الكوني، وأصبح تفاعل المرء عبر شاشة صغيرة مع أصقاع العالم كلها، ليشتري ويبيع ويعرض سلعته، أو يعرض إنجازه، وبإمكانه معرفة حركة السوق العالمية، وما يحدث فيها من تغيرات سريعة ممكناً، كل ذلك عن طريق شبكة الانترنيت، وعبر القنوات الفضائية التي تعرض كل ما يستجد في العالم من أحداث بشكل مباشر، وهذا ما أحدث للأسرة العربية أمور وقضايا لم تكن تألفها في السابق، وبالتالي ربطها بحركة التغير العالمية، بحيث أصبحت تحس وكأنها جزء لا يتجزأ من هذه القرية الكونية.

المبحث الأول

الإطار المنهجي للبحث

أولاً مشكلة البحث

لقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة التنظيم الأسري منذ القدم، بوصفه أقدم تنظيم عرفه الإنسان في تاريخ حياته، فضلاً عن أهميته، لكونه أول نموذج تنظيمي عرفته المجتمعات البشرية في أول نشأتها، فقد أكدت أغلب الدراسات الاجتماعية والانثريولوجية، أن الإنسان عاش في إطار اجتماعي تمثل على هيئة الأسرة، وإن اختلف هذا إطار من حيث السعة والحجم تبعاً لمراحل التطور الاجتماعي التي عاشتها المجتمعات، وتبعاً لتباين المجتمعات في نظمها وأبنيتها سواء البدائية منها أم المحدثة منها.

لأن التنظيم الأسري يخضع في تطوره وتغيره إلى طبيعة التغير الاجتماعي والثقافي الذي تتعرض له المجتمعات البشرية.

ومن الملاحظ أن شكل الأسرة ونطاقها هو انعكاس لطبيعة النموذج الحضاري الذي يسود في المجتمعات، فعندما كان نموذج الصيد والزراعة هو النموذج السائد، كانت الأسرة واسعة كل السعة، بل أحيانا تضمُ أبناء الآصرة القرابية الواحدة على مستوى العشيرة أو الفخذ، وهذا النموذج ما عرف بأنموذج (الأسرة الممتدة) أو الأسرة المركبة، Compound family or Extended family، أو الأسرة التوتمية Totams Family وحينما ساد النموذج الصناعي في المجتمعات البشرية، رافقة أنموذج الأسرة البسيطة، أو الأسرة النواة Nuclear Family ، التي رافقت المجتمعات الصناعية والمجتمعات الحضرية، وهكذا تؤكد الوقائع النظرية والميدانية أن الأسرة قد تغيرت في بنائها ووظائفها تبعاً لمراحل التطور الثقافي التي مرت بها المجتمعات البشرية.

ويطمح البحث إلى تقديم رؤية سوسيولوجية تحلل طبيعة العلاقة بين العولمة بوصفها عاملاً مستقلاً، والأسرة بوصفها عاملا تابعاً أو معتمداً، ومن ثم تتحدد مشكلة البحث في الإجابة عن الآثار والتحديات التي ستتركها ظاهرة العولمة الثقافية Cultural Globalization على التنظيم الأسري Organization Family من حيث بنائه ووظائفه ومنظومته القيميّة والأخلاقية والسلوكية، فضلاً عن علاقاته وتفاعلاته على مستوى الآباء والأمهات والأبناء.

وبوصف العولمة Globalization ظاهرة اجتماعية ذات آثار ثقافية وسياسية واقتصادية على بنية المجتمعات العربية والإسلامية ونظمها، تتجلى تلك

الآثار في تقويض أركان ودعائم تلك المجتمعات مادياً وروحياً، وذلك بسلبها هويتها وشخصيتها القومية والوطنية وتذويب وتغييب ثقافتها[1].

ثانياً: أهمية البحث

لا تخفى علينا الأهمية العلمية والعملية لهذا النمط من الدراسات الذي يسلط الضوء على ظاهرة اجتماعية خطيرة تكاد تكون الظاهرة الأكثر بروزا وإلحاحا، في العصر الحاضر، أعني. "العولمة"؛ لأنها تمثل تحدياً ثقافياً وسياسيا واقتصاديا تقودها الإمبريالية الأمريكية لتفرض نموذج الأقوى والأصلح مادياً وروحياً، أي هي محاولة إحلال أنموذج الآخرين محل النماذج المحلية، بوصف الأنموذج الأمريكي هو الأنموذج الأفضل والأمثل في جميع ميادين الحياة الاجتماعية.. سواء في نطاق الأسرة وعلاقاتها أو في بنيتها القيمية والأخلاقية من علاقات وآداب وعادات وسلوكيات.

هذه التحديات التي تمثلها الظاهرة المذكورة آنفاً تستوجب من الباحثين والمختصين والمفكرين أن يتخذوا مواقف جادة حيالها. وهذا ما دفعنا إلى كتابة هذا البحث.

ثالثاً: أهداف البحث

يحاول البحث الكشف عن ما يأتي:

1. معرفة طبيعة العلاقة بين العولمة والأسرة العربية.
2. معرفة آثار العولمة على الأسرة بنائيا ووظيفياً.
3. معرفة آثار العولمة على المنظومة القيمية والثقافية للأسرة.

---

(1) خليل محمد الخالدي، التنظيم الاجتماعي في الإسلام، رسالة دكتوراه، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001، ص 1.

رابعاً: منهج البحث

إن دراسة التنظيم الأسري دراسة شمولية تقتضي منا استخدام منطلقات النظرية البنائية الوظيفية في الوصف والتحليل والاستنتاج، فضلاً عن استخدام مناهج البحث الاجتماعي مثل: المنهاج التاريخي، والمنهاج المقارن اللذان يفيدان الدراسة في جمع المادة وتحليلها ومقارنتها واستخلاص النتائج منها.

كما تمت الاستعانة بأدوات جمع المعلومات كالملاحظة والملاحظة بالمشاركة بوصف الباحث عضواً في المجتمع العربي، وهذا ما يغني البحث من خلال تشخيص بعض الظواهر الاجتماعية والأنماط السلوكية المستجدة في الأسرة العربية.

خامساً: مفاهيم البحث

إن الضرورة الأكاديمية تقتضي من الباحث أن يحدد أبرز المفهومات والمصطلحات الواردة في البحث؛ ليكشف عن مدلولها ومضمونها ومقاصدها في البحث عند ذلك تتضح الصورة لدى القارئ؛ لأن المفاهيم تعد بمثابة مفاتيح أساسية للدخول في إطار البحث.

أولاً: التنظيم: Organization

لغة : النظم والتأليف، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظَاماً، ونظمه فانتظم وتنظيم[2]، واصطلاحاً فيعرفه العالم (رايموند فيرث) Paymond Firth ، بقوله: إنَّ التنظيم الاجتماعي يشير إلى ترتيب النشاطات في المجتمع، أي عملية ترتيب الأفعال وانتظام العلاقات من اجل تحقيق أهداف اجتماعية، وقد تغير الوسائل

(2) ابن منظور، لسان العرب، طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1300 هـ ج15، ص 56.

التنظيمية هذه البناء الاجتماعي، وإن هذه النشاطات الاجتماعية ليست عشوائية، بل منظمة في علاقات متداخلة ومترابطة[3].

في حين يرى تالكوت بارسونز T-Parsons أن جميع الأنظمة الاجتماعية تتميز بطابع التنظيم، أي: لها تركيب مكون من أجزاء مختلفة تجمعها وحدة الهدف والغرض[4].

ثانياً: الأسرة

منظمة اجتماعية تتكون من أعضاء يرتبط بعضهم ببعض بروابط اجتماعية وأخلاقية ودموية، وهذه الروابط هي التي جعلت الأسرة البشرية تتمايز عن الأسرة الحيوانية[5]، في حين يعرفها العالم سينززبور Census Burea بأنها: جماعة تتكون من شخصين أو أكثر مرتبطين بروابط الزواج أو الدم أو التبني ويعيشون سوية[6].

ثالثاً: العولمة Globalization

لا يوجد اتفاق بين المعنيين والمختصين في الدراسات الاجتماعية، لمصطلح العولمة، فمنهم من عبر عنها بالعالمية Universality ، ومنهم من عبر عنها بالكوكبية، ومنهم من عبر عنها بالنظام العالمي الجديد، والملاحظ أن العولمة لها أشكال ثلاثة فهي إما عولمة اقتصادية أو سياسية أو ثقافية، ونحن في هذا البحث، سنهتم بالعولمة الثقافية بوصفها الظاهرة الأبلغ أثراً على الأسرة العربية.

---

(3) Raymond, Firth Essays on social organization and values, university of London, 1964, P. 45.

(4) ميشيل دنكن، قاموس علم الاجتماع، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، مطابع دار الحرية، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص 291.

(5) د. إحسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج، ط2، بيروت، 1985، ص 9.

(6) Young, Macks Sociology and social life, Third addition, American book company, 1965, P. 72.

يقول الأستاذ صادق جلال العظم: إن العولمة هي توحيد الاستهلاك وخلق عادات استهلاكية على نطاق عالي في المجتمعات [7]، ويقول الأستاذ الجابري: إن العولمة هي مرحلة ما بعد الاستعمار، ترمي إلى توحيد الاستهلاك وخلق عادات استهلاكية، وهي من إفرازات الثورة المعلوماتية وما رافقها من تطور في مجال الاتصال والإعلام، وهي بالتالي تتجه للوصول إلى نمط الإنتاج الرأسمالي [8]، فالعولمة إذن ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي، بل هي – أيضا – وبالدرجة الأولى أيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم [9]، والعولمة الثقافية هي مجموعة قيم ورموز ومعاني وعادات وتقاليد وأنماط سلوكية غربية وأمريكية بالدرجة الأساس يراد بها أمركة العالم، وذلك بسيادة وهيمنة الأنموذج الثقافي الأمريكي في جميع ميادين الحياة المادية والروحية، وفي جميع المجتمعات البشرية.

المبحث الثاني

البناء الاجتماعي للأسرة العربي

إن الحديث عن العلاقة بين الأسرة العربية والعولمة، يتطلب منا توضيح الخصائص البنائية والوظيفية لها، لتبيان طبيعة الأسرة العربية وملامحها الاجتماعية الحالية، ويبدو جلياً أن الأسرة العربية قد تغيرت من جهة بنائها وسعتها، كما أنها تغيرت من ناحية الوظائف والأدوار التي تمارسها.

---

(7) د. صادق جلال العظم، ما هي العولمة، في حلقة (الثقافة العربية، وثقافات العالم حوار الانداد) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1999، ص 60.

(8) د. ذياب مخادمة، الثقافة العربية والعولمة، مجلة النص الجديد، ع8، السعودية، 1998، ص32.

(9) حمد الناصر حمدان، ثقافة العولمة، المصدر السابق نفسه، ص 52.

فإن عملية التغيير التي أصابت التنظيم الأسري في البناء Structure والوظيفة Function مسألة واضحة للعيان، ففي المحل الأول قد تغير شكل الأسرة وبنائها، فبعد أن كانت أسرة كبيرة وممتدة تتضمن جيلين فأكثر، أصبحت أسرة صغيرة نواة، تشتمل على الزوج والزوجة وطفلين أو أكثر فقط.

ويشير كذلك البناء الاجتماعي للأسرة إلى الطريقة التي تنتظم بها الوحدات الاجتماعية والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء، كما يشير إلى أنماط التنظيم، التي تختلف بصورة واضحة في أنحاء العالم، أي أن الأسرة على الرغم من هذا التباين فإنها تكشف عن نمط معين من التنظيم، كما تؤدي إلى نتائج متكررة ومحددة[10].

والبناء في الأسرة هو مجموعة الأدوار المتساندة التي تجعل الوحدة الأسرية اكثر انتظاما في سماتها، فالخصائص البنائية للأسرة تتشكل من عناصرها، أي: أعضائها كالزوج والزوجة والأبناء، فالأسرة هي الوحدة الأساسية في بناء المجتمع، وهي تقوم على الفطرة الثابتة للنفس الإنسانية، وعلى عواطف الرحمة والمودة ومقتضيات الضرورة والمصلحة، كما أنها المؤسسة التي تنشأ فيها وحولها كل القيم والأخلاق والآداب في المجتمع[11].

ولا يخفى علينا أن الأسرة من أهم الدعائم البنائية للبناء الاجتماعي ككل بوصفها: التنظيم الأكثر تداخلاً وفاعلية مع بقية النظم الاجتماعية، كالنظام الاقتصادي والديني والتربوي، فهي ترتبط بعلاقات بنائية ووظيفية مع كل هذه النظم، فأي تغيير يصيب هذه النظم ينعكس على النظام الأسري كلياً أو جزئياً.

---

(10) د. سناء الخولي، الأستاذ والحياة العائلية، مركز الكتب الثقافية، مصر، 1984، ص 145.

(11) د. محسن عبدالحميد، العدل الاجتماعي في الإسلام، مجلة دراسات إسلامية، ع 1، بيت الحكمة، بغداد، 2000، ص 27.

أما من حيث وظائف الأسرة العربية، فهي الأخرى تغيرت بشكل لافت للنظر، وعلى الرغم من الترابط والتلازم بين البناء والوظيفة إلا أننا يمكن أن نتناول كل من هذه الخصائص على حدة بوصفها تنظيماً اجتماعياً يؤدي طائفة من الوظائف الاجتماعية والأدوار المتمايزة داخل البناء الاجتماعي، عبر عنها الأستاذ علي عبدالواحد وافي بقوله: إن وظائف الأسرة منذ أقدم عصورها كانت واسعة كل السعة، شاملة لمعظم شؤون الحياة الاجتماعية، إلا أن المجتمع الحديث وبمؤسساته الحديثة أخذ يقوم بهذه الوظائف ويسلبها من الأسرة واحدة يعد الأخرى حتى يكاد يجردها جميعا[12].

فالأسرة كانت تقدم عدداً من الوظائف، منها ما يتعلق بالإيجاب وتقديم الخدمات الاجتماعية، فضلاً عن أنها تعطي وتحدد المكانات الاجتماعية للأفراد من خلال تعليمهم المعارف والمهارات والنماذج الثقافية، اما الآن فإن أغلب هذه الوظائف يمكن أن تقدم من وكالات أو تنظيمات اجتماعية أخرى، مثل: دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمدارس وأجهزة الإعلام [13]، ويرى ماكيفر R. Maciver أن من الناحية التاريخية فقد تحول التنظيم الأسري من وحدة شبه متكاملة ذاتياً إلى تنظيم محدد في أضيق نطاق، فهو يتكون أساساً من الجماعات الأصلية المتعاقدة[14]، في حين أن وليم أوكبرن W-ogburn يقول: إن الأسرة قد

(12) د. علي عبدالواحد وافي، الأستاذ والمجتمع، ط7، دار نهضة مصر، 1977، ص15.

(13)Francies E-Merill, Society & Culture, fourth edd. New Gursy, united state of American, 1969, P. 223.

(14) ماكيفر وبيج، المجتمع، ترجمة د. السيد محمد العزاوي وآخرون، مطبعة المعرفة، مصر، 1971، ج2، ص 45.

أصابها التفكك نتيجة لفقدانها كثيراً من وظائفها التقليدية التي انتقلت إلى أنساق أخرى في المجتمع مثل: المدرسة والمصنع والمؤسسات الثقافية الأخرى[15].

وتؤكد الحقائق والوقائع الميدانية أن الأسرة العربية لا زالت تقوم بوظائفها الأساسية، ولا يمكن أن تحل مؤسسات المجتمع الحديث محلها كلياً، بيد أن مؤسسات المجتمع الحديث أخذت تشاطر الأسرة في كثير من وظائفها وتساندها في تأدية كثير من أدوارها الاجتماعية الموكلة إليها، وحتى في المجتمعات المتقدمة التي نالت حظاً عالياً من التقدم العلمي والتقني في شتى مجالاتها وتشير الدلائل أن الأسرة ما زالت تؤدي بعض تلك الوظائف جنباً إلى جنب مع منظمات المجتمع.

المبحث الثالث

الأسرة وتحديات العولمة

سنركز الحديث في هذا المبحث عن أبرز الآثار والتحديات التي تتركها العولمة على التنظيم الأسري بشكل عام سواء من ناحية البناء أو الوظيفة أو البنية القيمية والثقافية والأنماط السلوكية الأخرى، وسيتم التركيز في هذا الجانب على العولمة الثقافية Culture Globalization بوصفها أخطر أنواع العولمة، الأكثر تهديدا للبنى الاجتماعية والتنظيمية في المجتمعات العربية.

أولا: آثار العولمة على البناء والوظيفة

من الملاحظ أن العولمة الثقافية ستترك آثاراً وخيمة على البناء الاجتماعي العام للمجتمعات، فوق ما تتركه من آثار خطيرة على التنظيم الأسري من جهة نشاطاته وعلاقاته ووظائفه.

---

(15) د. سناء الخولي، مصدر سابق، ص 146.

فالعولمة الثقافية هي امتداد للعولمة الاقتصادية Economic Globalization وتوسع فيها ولا تكاد تختلف عنها إلا في طبيعة ميادينها، فبدلا من الميدان الاقتصادي نجدها هنا تشمل الميادين الفكرية واللغوية والفنية، وهي كذلك تتفق مع العولمة الاقتصادية في التفرد والسيطرة، فهي تعني تعميم ثقافة واحدة وسيادتها وهيمنتها على غيرها من الثقافات، ومحاولة إحلال هذه الثقافة محل الثقافات الأخرى، من جهة أساليب التفكير، والتعبير، والتذوق الفني، وأنماط السلوك والتفاعل والنظرة إلى الحياة والكون[16]، ومن المتوقع أن ينتقل كل ذلك إلى الأسرة بوصفها المؤسسة الأكثر تأثرا بحركات التغير الاجتماعي المادية والمعنوية، والواقع أن المجتمع البشري يخضع الآن إلى تحولات لا سابق لها على الإطلاق، وعلى الرغم من أن هذه التحولات قد جاءت تحت عناوين شتى ومتعددة إلا انها في واقع الحال مترابطة ومتداخلة مع بعضها، وتمثل مقومات للمرحلة التي تليها، فالتحولات للمجتمعية التي قادتها قوى المال وآليات الإنتاج والاتصال والإعلام، وتكنولوجيا المعلوماتية هائلة فضلاً عن تسارعها، فالآثار والتحديات التي تخلقها ظاهرة العولمة كثيرة ومتنوعة [17]، تنعكس في جميع ميادين الحياة الإنسانية، كما تنعكس على جميع النظم والبنى، والجماعات الاجتماعية على اختلاف أشكالها وأنواعها، لأننا نرى أن التحديات الفكرية والثقافية لا تقل خطورة عن خطورة العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بل هي الأشد خطرا؛ لأنها ترمي إلى تغيير اتجاهات وآراء الأفراد الوطنية والقومية والتأثير على عقولهم

(16) ناصر الدين الأسد، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مجلة الأكاديمية، ع 16، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 1999، ص151.

(17) باقر النجار، العرب والعولمة، المخاوف والتحديات، مجلة أبواب، ع 26، دار الساقي، لندن، 2000، ص15.

وتفكيرهم عبر ما تصدره من كتب ونشرات ودوريات، وبرامج سمعية وبصرية داعية إلى أضعاف مقومات ومرتكزات البنى الاجتماعية في المجتمع العربي[18].

وكون الأسرة إحدى البنى الاجتماعية المهمة، فقد تعرضت وبشكل مباشر للآثار السلبية التي أفرزتها ظاهرة العولمة، مما أدى ذلك إلى حدوث سلسلة من التغيرات الاجتماعية المتعاقبة على البناء والوظيفة كما أثرت على الأدوار والعلاقات بين أفرادها[19]، فضلاً عن التغيرات التي طرأت فقد برزت مشكلات اجتماعية أسرية جديدة، فالسلطة الأبوية اهتزت وضعفت ولم يعد الأب قادرا على تلبية متطلبات أسرته المتزايدة في ظل الاحتياجات والمطالب التي فرضتها ظاهرة العولمة والانفتاح العالمي، ما بين المجتمعات المتقدمة والنامية.

والعولمة كأي ظاهرة اجتماعية تاريخية لها جوانب سلبية، كما أنها لا تخلو من جوانب إيجابية، وفق الأحكام العقلانية والأخلاقية، لأن القضية قضية تطور تاريخي ولا بد أن يكون هناك ضحايا[20].

إن التغيير الاجتماعي والثقافي السريع، والمقصود به في هذه الدراسة (العولمة) Globalization ، إذا تزايدت سرعته وكثافته فإن هذا يؤدي إلى خلخلات تصيب البناء والوظيفة معا؛ مما يترتب عليه نشوء التوتر والصراع وظهور احتمالات التفكك العديدة، ومن ابرز الأمثلة على ذلك، أن الأسرة التي كانت تعتمد في تكاملها على تحديد واضح للأدوار في ظل نسق قيمي معين، قد

(18) د. فاضل زيدان محمد، الأمن الوطني الداخلي، المرتكزات والتحديات والمعالجات، حلقة ثقافية، بناء الإنتاج بعد الحصار، المجمع العلمي، بغداد، 1999، ص100.

(19) د. سناء الكبيسي، الواقع الأسرة في ظل الحصار ومستلزمات نهوضه، المصدر السابق، ص69.

(20) تركي الحمد، حول العولمة والثقافة الذاتية، مجلة النص الجديد، مصدر سابق، ص25.

تتفكك إذا حدث تغيير جوهري في هذه الأدوار، نتيجة لاختلاف المهام والمسؤوليات وتغير النسق القيمي التقليدي للأسرة[21].

إن تغير العلاقات البنائية في الأسرة العربية الحديثة أدى إلى تغيرات واسعة المدى في وظائفها وكلما زاد التغير في هذه العلاقات تضاءلت الوظائف، وأصبحت غير مقنعة بالنسبة للرجل والمرأة في الاستمرار في العلاقات الزوجية[22].

إن مستقبل الأسرة سوف يتضمن تغيرات عديدة في علاقات الآباء بالأبناء، وكذلك في مناهج تربية الطفل وتنشئته. ومن المحتمل مستقبلاً أن يزيد الاتجاه إلى تحديد الأبوة بمعنى اكثر اتصالا بالناحية الاجتماعية من الناحية البايولوجية، ومن المحتمل أيضا أن يشهد المستقبل زيادة فيما يسمى (أشباه الآباء) Guasi Parents الذين سوف يسهمون في الوظيفة الأبوية الأساسية لتربية الطفل، وهؤلاء قد يكونون الاخوة أو الأخوات أو الأصدقاء، أو المعلمين، أو المربيات[23].

ويرى أوكيرن Ogburn أنَّ التنظيم الأسري قد تعرض لتغيرات واسعة النطاق خلال التاريخ، وهذا التغير اختلف طابعه من عصر إلى آخر، ويكون هذا التغير في تنظيم الأسرة إما بإضافة أعضاء آخرين أو بزيادة الوظائف أو تناقصها[24]. كما سيحصل ذلك في ظل العولمة التي ستلقي كثيراً من مهام ووظائف الآباء والأمهات تجاه أسرهم، ولاسيما التربوية والتعليمية منها، حيث ستميل الأسر إلى استخدام ثمار الثورة التقنية والمعلوماتية الهائلة من وسائل اتصال ومعلومات، مثل: برامج الحاسوب وشبكات الإنترنت الدولية غير ذلك من تقنيات سمعية

(21) د. محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1982، ص153.

(22) المصدر نفسه، ص 105.

(23) د. سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسري، مركز المكتب الثقافية، مصر، 1983، ص330.

(24) د. محمد عاطف غيث، المصدر السابق، ص 145.

وبصرية مثل: برامج البث الفضائي والتلفازي، ومن المتوقع أن تشغل هذه المستجدات حيزاً كبيراً من اهتمامات الأسرة وأفرادها، سواء في ارتباطهم بها أو انشغالهم لقضاء ساعات طويلة من اليوم لمتابعة تلك البرامجيات والفضائيات المتنوعة والمتتابعة.

ثانياً: آثار العولمة على البنية القيمية والثقافية للأسرة

هل يمكن أن تصمد الأسرة العربية أمام الرياح العاتية من الغرب التي فتحت الثورة التكنولوجية الحدود أمامها، فباتت تدخل كل بلد بل كل بيت دون استئذان، وحضورها في ذهن الجيل القادم بدأ يرتسم من خلال نماذج المأكل والملبس، والتصرف والحديث، حقاً إننا نشعر بأننا أمام موجة عاتية تتمتع بكل أسلحة الغلبة لا يحدها وازع أو قيم، بل أن مصلحتها تنساب حيث تجدها[25].

فهذه هي العولمة الثقافية Cultural Globalization التي أخذت تهدد المجتمعات العربية في جميع ميادينها ونظمها، أي: في قيمها وأخلاقها وأنماطها السلوكية لتجعل منها نماذجاً تساير وتواكب الثقافة الأمريكية، فهذه العولمة الثقافية بدت وكأنها كاسحة ستجرف وتقضي على جميع الخصوصيات الثقافية لجميع الشعوب غير الغربية، هادفة إلى أمركة العالم، لأن القيم الاجتماعية والنفسية الأمريكية هي المهيمنة على هذه العولمة، فالولايات المتحدة تمتلك النسبة الأكبر من وسائل الإعلام والقوة التقنية، فهيمنتها ليست اقتصادية فحسب بل ثقافية أيضا؛ لأن الذوق والسلوك والعرف الأمريكي سيعرف طريقة إلى العالم، مشكلاً ضغطاً وتحدياً لباقي الأذواق والسلوكيات والأعراف بالإضافة إلى الأديان والعقائد، التي تشكل المنظومة المتكاملة للخصوصية الحضارية لباقي الشعوب في العالم[26].

(25) د. ذياب مخادمة، الثقافة العربية والعولمة، مصدر سابق، ص41.

(26) حبيب ال جميع، العولمة في المجال الثقافي، مجلة النص الجديد، ع 8، دار الخشرمي للنشر والتوزيع، السعودية، 1998، ص47.

فالتأثير على البنية الثقافية Cultural structure يكون في جملة أنماط السلوك والقيم السائدة في مجتمع معين، مادية كانت أم معنوية، فهي تشمل بذلك أنماط العيش والمأكل والمشرب والملبس وطرائق تربية الأطفال، وآداب التحية والمعاشرة، وتقاليد الزواج والولادة وطقوس الأفراح وعادات النظافة واللياقة[27].

وأمام الاخفاقات التي تعاني منها ميادين الثقافة والاقتصاد والسياسة في العالمين العربي والإسلامي، فإن أرضية التأثير والاستيعاب أصبحت مهيمنة اكثر لاستقبال موجات الثقافة الغربية، وهي تدعو وتنشر قيمها بوصفها قيما إنسانية متميزة، وجاءت نتيجة قرون من تراكم الخبرات والتجارب الإنسانية في اكثر من مجال وعلى اكثر من صعيد[28].

وأمام هذه التحديات الثقافية والسياسية والاقتصادية، لابد من اتخاذ مواقف وتدابير اجتماعية وثقافية عالية؛ لحماية المنظومة القيمية والأخلاقية في مجتمعنا العربي، كونها اكثر الجوانب تأثرا وتعرضا لحركات التغيير المعولمة؛ لأن منظومة القيم هي الوجه الثقافي لأي أمة من الأمم فالقيم هي التي تفرز الوحدة والتضامن الاجتماعي في مواجهة الفردية والمصلحية اللاأخلاقية التي تمارسها قنوات العولمة [29]، والأسرة بوصفها تنظيماً اجتماعياً بالدرجة الأساس، يعيش ويحيا الفرد فيها زمناً طويلاً من عمره، هي المسؤولة عن عملية ترسيخ القيم والعادات والتقاليد، ونقلها وتمريرها من جيل إلى آخر، ولهذا فإن أي تلكؤ في أداء هذه الأدوار يفقدها وظائفها وقدرتها على أداء رسالتها التربوية والاجتماعية، فضلاً عن ذلك فإن مؤسسات التنشئة الاجتماعية لأخرى هي المسؤولة عن اتخاذ تدابير

(27) د. ذياب مخادمة، المصدر السابق، ص 42.

(28) حبيب ال الجميع، العولمة في المجال الثقافي، مصدر سابق، ص48.

(29) د. طه علي احمد، العولمة والنظام التعليمي في الوطن العربي، مجلة دراسات اجتماعية، ع 9، السنة الثانية، بيت الحكمة، بغداد، 2001، ص59.

وإجراءات لممارسة دورها المنوط بها في ظل التحديات التي ستظهر في عصر العولمة، مثل: المدارس والجامعات، وأجهزة الإعلام على اختلاف صنوفها، وعليها أن تواكب وتساير عصر الثورة التقنية والمعلوماتية التي أخذت تنشر ضلالها في كل الميادين.

إن العولمة الثقافية تقوم بعملية تسطيح الوعي واختراق الهوية الثقافية للأفراد والأقوام والأمم، فهي ثقافة جديدة تماماً لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل، ثقافة إعلامية سمعية وبصرية تصنع الذوق الاستهلاكي وتبني رؤية خاصة لإنسان والمجتمع والتاريخ، إنها ثقافة الاختراق(30).

ومن الملاحظ أن آليات العولمة سوف يكون لها تأثير هائل على مختلف وسائل وأساليب التنشئة الاجتماعية، سواء في الأسرة أو المؤسسات التعليمية أو الإعلامية أو المجتمع برمته، وهذا من شأنه أن يوجد أنمطاً أخلاقية وقيمية وسلوكية جديدة يتشربها ويتمسك بها الجيل الحالي والقادم وتلك الأنماط التي لم نألفها في عصر ما قبل العولمة Pre-Globalization ستؤدي إلى إحداث توتر وصراع قيمي وسلوكي حاد في الاتجاهات والأفكار، ما بين جيل الآباء وجيل الأبناء، فضلاً عن بروز ظواهر التفسخ الأخلاقي والتفكك الأسري، وظهور أنماط من الجريمة لم يألفها المجتمع العربي في السابق، مثل: كجرائم الانترنيت، وذلك يفعل تأثير أجهزة الاستقبال والبث الفضائي، التي استطاعت في الآونة الأخيرة الدخول إلى أغلب المنازل والبيوت بسبب انتشارها وكثافتها، فالمادة الإعلامية الغربية والأمريكية بدأت فعلا تصل إلى المتلقي في العالمين العربي والإسلامي دون حواجز تذكر(31).

وتبعاً لذلك فالعولمة تمثل إحدى التحديات التي بدأت تواجه كثيراً من دول العالم منذ حين، وستشهد وطأتها خلال هذا القرن، وخاصة على الدول التي لم

(30) د. طه علي احمد، العولمة والنظام التعليمي في الوطن العربي، مصدر سابق، ص60.

(31) حبيب ال الجميع، العولمة في المجال الثقافي، مصدر سابق، ص 46.

تتسلح لها بسلاح فعال، بل أن العولمة الثقافية أصبحت تهدد بعض الدول المتقدمة القوية كفرنسا مثلاً[32].

وهنا ما حدى بها إلى أن تعقد مؤتمرات دولية ومحلية لمناقشة أبعادها وآثارها على المجتمع الفرنسي وعلى البنية الثقافية فيه.

وعلى هذا الأساس يجب على مجتمعنا العربي أن يحصن نفسه ضد هذا التيار العارم الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية، والهادف إلى نشر الأنموذج الثقافي والاقتصادي والسياسي الأمريكي في كل مكان بوصفه الأنموذج الأقوى والأفضل في جميع الميادين.

ومن الوسائل والآليات التي تحقق بها العولمة الثقافية أهدافها هذه الأفلام والمسلسلات المدبلجة، التي تطالعنا في كل مكان وتلامس أسماعنا أو تقرعها في كل حين، وهي محملة بأنماط الحياة وأساليب التفكير والسلوك الغربية، وخاصة الأمريكية التي يراد لها أن تكون هي الأنموذج السائدة في البلدان الأخرى، وأن تتشربها الأمم والجماعات لتصبح لها نمط حياة وأسلوب تفكير وسلوك، فتذوب شخصيتها في شخصية البلد المصدر، ويتغرب فكرها وشعورها وسلوكها[33].

فهل يمكن للأسرة العربية في ظل هذه المتغيرات والتحديات التي تصنعها العولمة من مخلص أو وازع أو موقف عقلاني تواجه به هذه المتغيرات، لتحافظ على بنائها الاجتماعي وطابعها الإنساني، حتى تستطيع أن تؤدي مهامها ووظائفها الاجتماعية المنوطة بها تجاه ذاتها أولا وتجاه المجتمع ثانيا.

وهكذا يبدو لنا جليا أنه ستظهر تغيرات اجتماعية واضحة في البنى الاجتماعية التقليدية ومنها البنية الأسرية التي ستكون اكثر تعرضا لحركات العولمة وقنواتها الإعلامية والاتصالية.

---

(32) ناصر الدين الأسد، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مصدر سابق، ص154.

(33) ناصر الدين الأسد، المصدر السابق نفسه، ص154.

الخلاصة

لقد تصدى البحث لإشكالية بالغة الأهمية، تتمثل في الآثار الاجتماعية والثقافية والنفسية التي ستتركها ظاهرة العولمة على التنظيم الأسري من جهة بنائه ووظائفه ومهامه ومسؤولياته، وأدواره الاجتماعية كافة.

فضلا عن آثارها الممتدة على البنية القيمية والمعرفية \للأسرة والأبنية الاجتماعية الأخرى في المجتمع، بوصف الأسرة نظاماً اجتماعياً متصلاً ببقية النظم الاجتماعية فيه كالنظام الاقتصادي والسياسي والديني والتربوي، فأي تغيير وتبدل في أحد هذه الأنظمة ينعكس بشكل واضح على النظام الأسري.

ومن المؤكد أن أغلب هذه النظم ستشهد تغيرات واضحة في ستراتيجياتها وآلياتها وأهدافها، ناهيك عن أبنيتها ووظائفها، وذلك بفعل الثورة المعلوماتية والثقافية اللتين تمثلان المحركات الأساسية لنظم العولمة وسترتيجياتها.

ومن المتوقع فعلا أن تترك العولمة الثقافية بصمات واضحة على البناء الاجتماعي عموماً، وعلى البناء الأسري خصوصاً، من حيث منظومته القيمية والأخلاقية والسلوكية وهذا ينعكس في سلوك الآباء والأمهات حيال بعضهم البعض أو حيال أبنائهم وبناتهم، ولاسيما ما يتعلق منها بوسائل التنشئة الاجتماعية وأهدافها وأنماطها، ستشهد تغيراً واضحاً في المفهوم والمضامين والأهداف.

وهذا ما يستدعي استيعاب كل تلك التحديات، بعين واعية وأذن صاغية لنستطيع أن نتعامل معها أو نحتويها على اقل تقدير وابسط جهد، ومن ثم تكون آثارها تدريجية وليست مفاجئة وسريعة تحطم الأسس التي تستند عليها الأبنية الاجتماعية في مجتمعنا العربي.

التوصيات

1. البحث عن السبل والطرائق الكفيلة باحتواء آثار العولمة السلبية، وذلك بتوفير بدائل ونماذج ثقافية وإعلامية، تضاهي ما تروج له قنوات العولمة وآلياتها.
2. عقد ندوات ومؤتمرات خاصة لمناقشة آثار هذه الظاهرة على البنى الاجتماعية كافة فضلاً عن الأسرة.
3. عقد ندوات تثقيفية لأرباب الأسر ورباتها، فيما يخص طرائق التنشئة الاجتماعية وأساليبها المثلى، وتبصيرهم بآثار ومخاطر تلك الأساليب الهدامة التي تروج لها قنوات العولمة.
4. دعم وتعزيز كافة المؤسسات العلمية والتربوية والبحثية لتتمكن من مواجهة هذه الظاهرة واحتوائها والتعامل معها من موقع مقتدر وإمكانيات عالية.
5. يجب على الدولة أن توجه وتسيطر على كل الوسائل والقنوات الإعلامية والاتصالية، لتكون موجهة لحماية السيادة الوطنية والخصوصية الحضارية للمجتمع العربي.
6. يجب على الدولة ومؤسساتها المختلفة أن تعمل على صيانة هويتها الثقافية، لأنها المستهدفة بالدرجة الأساس، ولأن العولمة تهدف إلى ضرب الخصوصيات الثقافية وتأصيل الأنموذج الغربي والأمريكي محل النماذج الوطنية.
7. العودة إلى تأصيل وتبني قيم الثقافة العربية والإسلامية والتشبث بها، والعناية بالموروث الثقافي والقيمي الإسلامي، كونه يتصف بالشمولية والعالمية في توجهاته ومبادئ؛ لكي يكون بديلاً قوياً لما تروج له تداعيات العولمة.

Abstract

Family Organization and Globalization Challenges

Dr. Khlil Mohammad Huseen [*]

This research studies the impact of socio-cultural Globalization on family arganization, from all sides:

structural, functional, social roles, and responsibility towards the world. It also, studies the Globalization's effects on family's value and other social systems in society.

Globalization will leave deep prints on the whole social structure, to mention its effects on a family's structure in its values, knowledge, and ethical organization. Firally we will notice the changes towards happermed in recent future, regarding parent's behavior specially their kids. A case which will change the way of social organization and its objectives.

(*) College of Arts / University of Mosul.